نشاط الشيخ الطيب المهاجي الجزائري
في جمعية الفلاح الإصلاحية بوهران

أ.جيلالي حورية*

الملخص

يدخل هذا المقال في إطار العمل البيوغرافي الذي يهدف إلى التعريف بالشخصيات وتتبع مسارها ونشاطاتها ، وفي هذا الصدد نحاول تسليط الضوء على أحد أبرز أعلام وهران وهو الشيخ الطيب المهاجي الذي عرف بعلمه الغزير و ورعه الشديد ونشاطه المتواصل. فقد بدأ مسيرته بختم القرآن وهو في التاسعة من عمره ليقوم بعدها بمجموعة من الرحلات العلمية التي حصل من خلالها على إجازات من أشهر علماء عصره من داخل البلاد وخارجها.

وبعد هذه الرحلات المظفرة استقر هذا المصلح بوهران وافتتح بها مدرسة قرآنية بحي المدينة الجديدة ، سيكون لها دور بارز بفضل جهوده بها حيث حرص على تعليم القرآن و نشر الثقافة الإسلامية كنوع من المقاومة الثقافية لسياية المستعمر الهادفة للقضاء على مقومات الشخصية العربية الإسلامية. ومن جهة أخرى فقد كان له نشاط واسع في إطار جمعية الفلاح بمدينة وهران التي ستكون النواة الأولى للعديد من الفدائيين في جبهة التحرير الوطني إلى جانب ترأسه للمجال الثقافي للجمعية العقائدية الإسلامية بوهران.

* – باحثة في تاريخ الجزائر المعاصر، جامعة وهران 1 الجزائر.

Abstract

This article is part of the biographical Works That aims to introduce the characters and follow the path and its activities, and in This regard we are trying to shed light on one of the Most prominent personalities Oran and is Sheikh Tayeb Elmhadji who knew his knowledge of heavy and intense pious and continuous activity.

Cheikh Almhadji was born in 1882 in the village of "Amhajah" a suburb of Oran which is currently affiliated to the mandate of the camp (Zahana District) and died in 1969 at the age of eighty-eight-year-old full of great achievement after a march of scientific and religious activity .He began with learning the Quoran by heart at the age of nine for the later set of scientific trips where he took leave of the most famous scientists of his time inside and outside the country, as is the where he attended school, "Sheikh Sheaibi" " Teness"case for his trip to where he sudied at the hands of"Sheikh " SIG " and to the city of Alguendoz", while out of the country has paid his passion for science to the Zitouna Mosque in Tunis in 1929 and then to the holy places where he had the opportunity to meet with several scolars and got many scientific triomphs. then he visited Fez in 1945. After these triomphant trips he settled in Oran where he established a Quoranic school in El Medina El Djedida which had a great role in speading the Islamic culture as a type of the basics of the Arabic Islamic personality.

Tayeb Elmhadji was engaged in giving courses in theology .syntaxe and interpretation of Holly Book.Besides .he had a great role in El Féléh Association in Oran which was the core of a lot of guerillas in the FLN(National Liberation Front)as well as his role as a president of the Islamic and cultural association in Oran.

مقدمة:

ظل العمل البيوغرافي و لا يزال ذا قيمة عند القراء الذين لطالما اهتموا بالإطلاع على ما هو خفي و غامض في حياة الآخرين الأمر الذي يفسر الإقبال الشديد على قراءة الكتب التي تتناول حياة الشخصيات وسيرها ، هذا وتتطلب الكتابة البيوغرافية تتبع مسار

الشخصية ونشاطاتها ، انجازاتها وأفاقها ليتحول الكاتب من مؤرخ إلى صحفي ، أديب ومحلل سياسي . في هذا الإطار وكمحاولة لتعريف الخلف بأعمال السلف وسعيا وراء إبراز انجازات علمائنا و مفكرينا و التعريف بهم لأبنائنا ليكونوا قدوة و فخرا لهم و مساهمة في بناء شخصية الأمة و زرع روح الاعتزاز بين شبابها جاء هذا العمل المتواضع لتسليط الضوء على أحد أعلام وهران الأجلاء وهو الشيخ الطيب المهاجي، و ذلك من خلال التطرق لنشاطه العلمي ودوره الإصلاحي في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجمعية الفلاح الوهرانية.

و قد اعتمدت في هذا العمل على عدد من المصادر والمراجع أهمها كتاب " أنفس الذخائر و أطيب المآثر في أهم ما اتفق في الماضي والحاضر " لصاحبه الشيخ الطيب المهاجي إلى جاني وثيقة تمكنت من الحصول عليها من مقر جمعية الفلاح بوهران حول أعضاء الجمعية ونشاطاتها ، إلى جانب مجموعة من المراجع التي طرقت لهذا الموضوع.

و للتمكن من تتبع مسار هذه الشخصية تعرضت إلى التعريف بالشيخ الطيب المهاجي ورحلاته داخل الوطن وخارجه وذكر آثاره العلمية والوقوف عند مشاركته في جمعية الفلاح الإصلاحية داخل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وهي موضوع هذا المقال.

1- التعريف بشخصية الشيخ المهاجي الطيب:

ينتسب الطيب المهاجي إلى قرية أولاد سيدي الفريح من أرض القعدة من قبيلة أولاد علي إحدى قبائل بني عامر بن زغبة الذين انتقلوا من شبه الجزيرة العربية منذ

أوائل الفتح الإسلامي إلى المغرب العربي. وقد استوطنت هذه القبائل منطقة المغرب الأوسط[1].

وهو الطيب المهاجي بن المولود بن مصطفى بن محمد السني بن مصطفى بن سيدي الفريح المهاجي[2] ولد سنة 1300هـ الموفق لـ 1882م بقرية أولاد سيدي الفريح المهاجي المعروفة بـ"امهاجة" من أرض القعدة إحدى ضواحي وهران قديما التابعة حسب التقسيم الإداري الحالي إلى ولاية معسكر (دائرة زهانة).

وقبيلة "امهاجة" عريقة من حيث النسب، وذات مكانة كبيرة في مجال العلم، حيث اشتهرت بكثرة كتاتيبها القرآنية، ورجال العلم فيها، فقد كان والد جده سيدي محمد أحد العلماء الذين أحيوا السنن، وقاوموا البدع حتى لقب بالسني. ثم نقله باي وهران عثمان الكبير إلى جامعها الأعظم وبقي بها إلى أن توفي في أوائل القرن الثالث، ودفن بمقبرة سيدي البشير خارج وهران بوصية منه[3].

أما جده فكان سيدي المصطفى الذي قرأ على العلامة الشيخ أبي راس الناصري المعسكري، وقد اشتغل بتعليم القرآن تجويدا وتصحيحا برسم المصحف العثماني. اشتهر سيدي المصطفى بالصلاح وطيب الحديث. ومن تلاميذته المشهورين بالأخذ عنه المولود بن بريك وجلول بن يغمور والطيب بن كاب... وفي أواخر أيامه ذهب بصره، واختار البقاء عند ابنه والد الطيب المهاجي "المولود" إلى أن توفي ودفن بمقبرة "العين المالحة".

أما والد الطيب المهاجي "المولود"، فقد حفظ القرآن على والده، وقد قرأ مختصر خليل على الشيخ سيدي الطيب بن بشير الشرفي وعلى الشيخ سيدي الحاج محمد أحد عمومته. ثم عمل على تعليم القرآن بالأجرة بسبب ما كان يعانيه من فقر وعوز. وقد نسخ بيده عدة مصاحف، كما اشتهر بكتابة الوثائق[4].

وقد توفي والد الطيب المهاجي في محرم 1323هـ/1905م[5] ،ودفن بجوار والده. كان للطيب المهاجي أربعة إخوة هو أصغرهم، حرص والدهم على تحفيظهم القرآن الكريم. أما جد الطيب المهاجي من أمه فكان السني "بن فريحة"، تميز بمساندته للأمير "عبد القادر" في مقاومته إلى أن نفي إلى كورسيكا ومات بها [6].

2- رحلات الطيب المهاجي داخل الوطن وخارجه:

كان بيت الأسرة هو النواة الأولى لتعلمه القرآن الكريم، فقد علمه والده ألفاظ الشهادة وبعض السور حتى حفظ من سورة الأضحى إلى سورة الناس. وقد افتتح القرآن في اللوح من سورة الليل حتى حفظ القرآن كله وختمه على يد والده وهو في التاسعة من عمره [7] ثم تلتها إحدى عشرة ختمة مفرقة على عدة شيوخ منهم الشيخ محمد بن قدور بن الأقرع، الشيخ عبد السلام بن صالح الغريسي، الشيخ محمد بن عبد الله اللعباني[8] وغيرهم. أما مشايخه، فقد تعددوا ومنهم ابن عمه الشيخ سيدي محمد بن سيدي قدور بن مصطفى بن الفريح المهاجي الذي حضر له دروسا من مختصر خليل لمدة خمس سنوات حتى ختم عليه المختصر أكثر من أربع مرات [9]،إلى جانب محمد بن عبد الله اللعباني، ومحمد بن العربي الشرفي، الذي درس عليه باب المواريث من مختصر خليل. ثم انتقل إلى قبيلة صبيح بمدينة تنس أين التحق بمدرسة "الشيخ الشعيبي" الذي كان من أحب شيوخ الطيب المهاجي[10] . كما كان قد أقام في مدينة سيق سنة، قرأ فيها على الشيخ القندوز معظم مختصر خليل والأجرومية عدة مرات،قطر الندى لابن هشام، وألفية ابن مالك [11].

قام الطيب المهاجي بعدة رحلات خارج الوطن لطلب العلم، منها إلى تونس سنة 134هـ/1929م التي تردد فيها على جامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية[12]. وفي سنة 1350هـ توجه لأداء فريضة الحج، وقد نشط الرحلة بإلقاء عدة دروس، وبوصوله إلى مكة تمكن من اللقاء بعدة علماء منهم الشيخ سيدي أحمد الشريف السنوسي الخطابي

الذي أجازه إجازة عامة مشافهة.كما حضر عدة دروس بالمدينة المنورة وعلى رأسهم الشيخ خليل التكروري الذي أجازه أيضا إجازة عامة مشافهة. إلى جانب حصوله على إجازة الشيخ أحمد أمين بن عزوز أحد علماء المدينة[13]. وفي سنة 1364هـ/1945 قام الطيب المهاجي بزيارة إلى فاس بالمغرب الأقصى وكذلك مكناس والرباط وسلا، وكان دلك بدعوة من بعض أصدقائه بفاس[14]غير أن ذلك لم يسمح له بحضور الدروس بجامع القرويين لأنهم كانوا في عطلة الصيف[15]. وقد حصل الطيب المهاجي على إجازة من عدد آخر من علماء عصره منهم :

– الشيخ أبو شعيب الدكالي بإجازة عامة، الشيخ محمد بدر الدين محدث الشام بدار الحديث النبوي الشريف بدمشق.

3– آثار الطيب المهاجي العلمية

بعد هذا المسار الحافز بالعلوم، استقر الطيب المهاجي بوهران (سنة 1330هـ) التي افتتح بها مدرسة قرآنية بجامع الشريفية بالمدينة الجديدة. كانت هذه المدرسة تضم حوالي أربعين متعلما[16]. وللشيخ دور كبير في تعليم القرآن الكريم ونشر الثقافة الإسلامية. كان يمضي يومه بالمسجد لإلقاء الدروس صباحا من السابعة إلى الحادية عشر، ومساء من الثانية إلى الخامسة. أما العلوم التي كان يدرسها فهي النحو والصرف والبيان صباحا، والفقه مساء.

أما الفترة الليلية فقد كان يلقي فيها دروسا في التفسير الذي ختمه خلال تسع سنوات. كما أعاد تفسير القرآن الكريم خلال شهر رمضان إلى جانب سرد صحيح البخاري[17].

وقد واصل الطيب المهاجي مهمته في التدريس إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية حيث توقف عن ذلك بسبب تجنيد القوات الفرنسية لمعظم تلاميذه، ليعود لمواصلة التعليم من جديد بعد أن وضعت الحرب أوزارها. وبعد اندلا ع الثورة الجزائرية

سنة 1954 عطل تعليمه لفترة قصيرة ليعود لمواصلة نشاطه من جديد إلى غاية وفاته سنة 1969م.

ويذكر الطيب المهاجي أنه عندما استأنف عملية التدريس بوهران منعته الحكومة الفرنسية بدعوى أن القانون الفرنسي يمنع التعليم بسائر أنواعه حتى تعليم الديانة بدون رخصة. وبعد عدة عراقيل وصعوبات، يذكر أنه حصل على رخصة مقيدة بالإذن في قراءة فنون خاصة مع الحجر على باقيها[18]. ويذكر هنا ما كتبه معاشو عبد القادر عبد الجليل في مقاله الذي كتبه حول زدور القاسم، وأثناء سرده لمعلومات حول الطيب المهاجي حيث ذكر أنه ابتداءً من 1932– 1933 كان يراه وهو يأتي لإلقاء دروسه ببرنوسه الأسود، رفقة أولاده (القاسم ومحمد)، أما أحمد فلم يكن قد ولد بعد، وأحيانا حتى إخوته مع الحاج إبراهيم والحاج صادق[19].

لعب هذا الشيخ دورا فعالا في مواجهة سياسة التجهيل التي عمدت السلطات الفرنسية إلى تطبيقها، ورغم العراقيل التي واجهها إلا أنه واصل نشاطه جامعا حوله عددا كبيرا من الطلبة حتى تخرج على يده عدة علماء برزوا على الساحة في وقت كانت فيه الجزائر بأمس الحاجة إلى هذه الفئة. ومع طول قائمة طلبته، سنكتفي بذكر البعض منهم وهم :

- الشيخ مصطفى بن زيان، توفي حوالي1971، أصله من سيق، كان من أنجب تلاميذ "المهاجي الطيب". تولى القضاء والفتيا بمدينة تيارت إلى غاية وفاته.
- الشيخ عبد القادر الطيب إبراهيم، هو ابن الشيخ محمد مكنوس أحد أقرباء الطيب المهاجي، مارس التدريس بسيق في مدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء الاستعمار الفرنسي. وبعد الاستقلال أصبح إماما ومدرسا بالجامع الكبير بوهران (جامع الباشا).

- الشيخ عبد القادر بوجلال، جند خلال الحرب العالمية الثانية. كان من أبرز تلاميذ الطيب المهاجي، عمل إماما ومدرسا بمسجد البدر بوهران إلى غاية تقاعده.

ومن جهة أخرى، فقد خلف لنا الطيب المهاجي عددا من المؤلفات كان أهمها :

- "أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق في الماضي والحاضر"، و"مختصر في المنطق"، و"رسالة في أصول الفقه".
- "كتاب في علم البيان"، "رسالة في التصوف"، "رسالة في باب معرفة علامة الإعراب"، "تزويد الحاج بالمناسك المعزوة لمذهب الإمام مالك"[20].

4- مشاركة الطيب المهاجي في جمعية الفلاح الإصلاحية داخل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

قبل التطرق إلى مشاركة الطيب المهاجي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لابد من الإشارة إلى أهم النوادي والجمعيات التي ظهرت بالقطاع الوهراني، والتي كان من بينها "حلقة التقدم" (Le Cercle du Progrès) التي تأسست في صيف 1932 على يد الشيخ سعيد الزاهري[21] وكان هدفه بعث الأهالي وإيقاظهم، حيث نذكر هنا أحد الخطابات التي ألقاها هذا الأخير على الشباب الذين حضروا للاستماع إليه : "إن أنتم لم تكوّنوا أنفسكم في اللغة، والدين، والعلوم الإسلامية فإنكم ستلقون نفس مصير البربر المغاربة، كانوا مسلمين، وحولتهم فرنسا بالقوة إلى مسيحيين"[22]. لكن هذا النادي سرعان ما اختفى، غير أن الشيخ سعيد الزاهري قام بتأسيس نادي "الإصلاحية" يوم [23] أوت 1934 الذي عمل من خلاله على:

- تنظيم عدد من الدروس بالعربية ودعم التلاميذ المحتاجين.
- تقديم محاضرات أدبية باللغتين العربية والفرنسية.
- تنظيم مكتبة تضم المؤلفات الأدبية والعربية والفرنسية.

وبعد ذلك بحوالي ثمانية أشهر قام الزاهري بتأسيس نادٍ آخر باسم "الإصلاحية الحمراوية" والذي ركز من خلاله على التربية والتعليم. وكان إلى جانبه سعد الهاشمي المدعو سي علي، ورغم متابعتهما قضائيا بسبب فتح مدرسة خاصة بدون رخصة إلا أن ذلك لم يثن من عزيمة هذا الشيخ حيث أسس سنة 1936 جمعية ثالثة باسم جمعية إخوان الأدب، وكان يهدف إلى تأسيس جمعية واسعة النطاق تمتد إلى كل التراب الوطني لكن هذا المشروع لم ينفذ بسبب قلة الامكانيات. هذا إلى جانب تأسيس جمعية الفلاح سنة 1937 ثم جمعية التربية والتعليم بوهران سنة 1938. وفي هذا الإطار لابد من التوسع فيما يخص جمعية الفلاح التي نشط فيها الشيخ الطيب المهاجي وكذلك الشيخ زدور سي الميلود ابن أخ الشيخ الطيب المهاجي.

بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي بالعاصمة سنة 1931، بدأ أعضاؤها في إطار نشاطاتهم بمحاولة إشراك مدينة وهران لبعث الحركة الإصلاحية بها، فقامت الجمعية بتفويض الشيخ الزاهري لتأسيس مدرسة تعمل على ترسيخ اللغة العربية والتعليم الديني. فكان تأسيس مدرسة الفلاح في الحي الشعبي Village nègre (حي الزنوج) المدينة الجديدة حاليا، بإيعاز من الشيخ البشير الإبراهيمي[24] والتي ستكون النواة التي تكونت فيها أهم قيادات الفدائيين في جبهة التحرير الوطني مثل أحمد زبانة وحمو بوتليليس. وقد خلف سعيد الزاهري على رأس الجمعية بعد سنوات الشيخ أمين الكنتاري سنة 1937. وفيما بين 1938 و1940-1941 قاد الجمعية الشيخ جفال من تبسة، والشيخ عمر البسكري.

غير أن أهم شخصية لعبت دورا ملحوظا في تطوير الجمعية وتحقيق أهدافها، كان الشيخ سعيد زموشي[25] سنة 1944 الذي كان يهدف إلى جمع وتوحيد أكبر عدد ممكن من الجزائريين سعيا لتكوين قيادات تشارك في الثورة المسلحة. ولتحقيق هذا

الهدف، كان لابد وفي ظل يقظة السلطات الاستعمارية، من إحياء تعاليم الدين الإسلامي، وتعليم اللغة العربية وإعادة الاعتبار لها.

أما عن ظروف تأسيس هذه الجمعية الإصلاحية، فهي تعود إلى سنة 1936 أين تم تأسيس لجنة مدرسة الفلاح تحت زعامة الشيخ الميلود المهاجي الذي كان تلميذا للشيخ عبد الحميد بن باديس. وقد ضمت اللجنة الشخصيات التالية : الطيب تسورية، شرفاوي حبيب، حمو نافي، عتو بغداد، هواري بن جبار، سمغوني محمد، مكي عبد القادر، قندسي الهواري، بغداد أبو بكر، بغداد لشلاش، حاج شيخ أحمد، مطهري سيد أحمد[26].

وقد استقبلت هذه اللجنة الشيخ عبد الحميد بن باديس بوهران أين ألقى أول محاضرة بجامع الباشا والتي ذكر فيها أهمية إيجاد مقر لهذه اللجنة كي تتمكن من وضع خطة عمل للتعريف بنشاط الجمعية وأهدافها. وبالفعل وجد مقر مرحلي لها بمنزل شرفاوي حبيب أحد أعضاء اللجنة.

كان هدف هذه الجمعية إعادة الاعتبار للغة والدين، والقضاء على البدع والخرافات التي عمل الاستعمار على ترسيخها في إطار سياسة التجهيل. وهكذا فقد كان أهم إنجاز إصلاحي حققه العلماء سنة 1937 هو تأسيس جمعية دار الفلاح مع مدرستها التعليمية[27]. إذ سرعان ما أصبح المقر غير كاف لنشاطاتها، فتم استبداله بمنزل السيد نميش[28] ليصبح المقر الجديد لها، وتم تحويله إلى مدرسة حملت اسم الفلاح. وكان هذا المقر الجديد بعنوان طريق EMILE DELORD بالمدينة الجديدة. أما عن أصل التسمية، فكان تيمنا بمسجد الفلاح بمكة المكرمة. ولحماية أعضاء الجمعية وصاحب المنزل من السلطات الاستعمارية، سجل البيت عند بيعه باسم 120 شخصا أي ملكية جماعية[29].

عملت الجمعية من خلال نشاطاتها على نشر الوعي عن طريق المحاضرات والندوات واللقاءات التي كان ينشطها أعضاء بارزين كما هو الحال بالنسبة لقيادات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[30].

وقد تميزت المرحلة التي ترأس فيها الشيخ سعيد الزموشي جمعية الفلاح بالنشاط الفكري، ورافقه في نشاطاته بها عدة أشخاص منهم صغير بن علي، صباغ محمد، عبد الرحمن فاطمي، حسين بن غراب، ونزار بومدين، دواجي محمد، جيلالي بريكسي، سويح الهواري...، حيث عمل هؤلاء على تطبيق أهدافها التربوية.

كما توجت الجمعية بعدة زيارات لشيوخ جمعية العلماء أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي في 7 جوان 1937، الشيخ العربي التبسي[31]، الشيخ مبارك الميلي، والطيب العقبي[32]. و ركزوا كلهم على إلقاء المحاضرات التي تميزت بحضور جماهيري واسع، الأمر الذي كان يقلق السلطات الفرنسية التي كانت تراقب عن كثب نشاطات هذه الجمعية، حيث تعرضت هذه الأخيرة للمداهمة والتفتيش وألقي القبض على أعضائها عدة مرات، الأمر الذي تطلب البحث عن مقر جديد لها ليتم العثور على مكان جديد تتم فيه مزاولة التعليم العربي. وكان بعنوان: 26 B^{d} Joseph Andrien [33]، وهو طريق الاستقلال بالمدينة الجديدة حاليا، وتم تسجيل المقر باسم مجموعة من الأشخاص لحماية أنفسهم من السلطات الاستعمارية، ليتم بعد ذلك العمل على بناء مدرستين كملاحق للمدرسة الأم، بفضل التبرعات والمساعدات التي تم جمعها. كما شاركت عدة شخصيات في إكمال هذا الإنجاز[34].

هذا ويرجع سبب الإشعاع الذي شهدته هذه الجمعية إلى جهود فرع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوهران، ودور العالمين زدور ميلود المهاجي وسعد الهاشمي (سي علي) [35].

ولابد من الإشارة هنا إلى الزيارة التي قام بها أعضاء الكشافة الجزائرية إلى وهران مرورا إلى تلمسان، حيث كان يرافقهم فرحات عباس، والبشير الإبراهيمي وحسين عسلة، الذي كان عضوا في حزب الشعب الجزائري، وذلك بعد الدعوة التي تلقوها من المدرسة، حيث أقيم لهم غذاء خاص. وبهذه المناسبة قام حسين عسلة بالاتصال بدلال الغوتي لعقد اجتماع سري لأعضاء حزب الشعب الجزائري بمنزل حمو الطاهر شقيق الشهيد حمو بوتلياليس.

هذا وقد عمل الشيخ الزموشي على توسيع المدرسة لزيادة نشاطاتها وعدد تلامذتها، وقام لأجل ذلك بجولة عبر الوطن، رفقة دلال الغوتي بغية الحصول على الدعم المادي، وحصل لهم ذلك، فكان مصدر المال فتح عدد من الحمامات الشعبية. إلى جانب حصول الجمعية على بعض المال من الإخوة عمار (سيرك عمار) عند زيارتهم لوهران. كما كانت تحصل من حين لآخر على بعض الأموال من زوار وهران. إلى جانب المسرحيات التي كانت تعرض بالمدرسة وتعتبر مصدرا للأموال. وكذلك تبرعات الفنانين زوار وهران كما هو الحال بالنسبة للمطرب التونسي محمد جاموسي الذي قدم للجمعية مبلغا معتبرا[36].

وهكذا فقد تنوعت نشاطات الجمعية من التدريس، الندوات إلى المسرح والرياضة، بفضل تنشيطها لمباريات الملاكمة وكرة القدم. هذا إلى جانب تنظيمها لدورات استدراكية للتلاميذ أثناء العطلة، وكان الدكتور "نقاش" مسؤول وممون هذه الدروس. كما عمل أعضاؤها على تنمية المواهب لدى التلاميذ من خلال الاهتمام بالتربية البدنية، إلى جانب فتح مركز للتكوين في فن الخط، الرسم وأعمال النجارة. وكان يحتفظ بالانجازات لتقدم كهدايا رمزية لزوار المدرسة. ونشير هنا إلى مسرحية بعنوان "في خدمة العرش" التي قدمها جزائريون من وهران بجامع الزيتونة بتونس، وأسماؤهم كالآتي : "عيسى مسعودي" الذي أصبح فيما بعد سفيرا للجزائر بإندونيسيا

إضافة إلى دوره أثناء الثورة، بن سنوسي محمد الملقب بـ"نهرو" والذي استشهد فيما بعد، شرفاوي الذي كان خطاطا (فن الخط) بإذاعة وهران، إلى جانب عفرات بلال والدكتور عبد الإله ميسوم المدير السابق للإذاعة والتلفزة الجزائرية بوهران. إلى الجانب السيدة سعيداني المديرة السابقة لملحق المدرسة الأساسية عائشة أم المؤمنين، وأخيرا فاطمة دياب[37] غير أن هذه لم تسلم من القمع الإداري حيث تمت ملاحقة ممثليها وبعض مدرسيها أمثال زدور الميلود، وعزوز الجيلالي طيلة صيف 1937 [38].

وتواصلت نشاطات الجمعية حيث ساهمت في تقديم العون لضحايا زلزال شلف 1954 وذلك بجمع المساعدات وإرسالها إلى المناطق المتضررة.

وباندلاع ثورة نوفمبر 1954 عملت السلطات على تضييق الخناق على الجمعية ونشاطاتها، خاصة وأن أول شبكة لجبهة التحرير الوطني بوهران[39] – حسب شهادة بعض الأعضاء في الجمعية – كانت على اتصال بالحاج عسلة، ستظم دلال الغوتي الذي سيكتشف من عمليات التوعية. وقد تعرض أعضاء الجمعية مرة أخرى، وعلى رأسهم الشيخ سعيد الزموشي للقمع، حيث أبعد دلال الغوتي إلى آفلو، والشيخ الياجوري إلى معسكر سنة 1956، في حين تعرض سعيد الزموشي للتعذيب والسجن لمدة ثلاثة أشهر، وعند إطلاق سراحه المؤقت استدعته جبهة التحرير الوطني ليلتحق بها في المغرب أين واصل نشاطاته هناك، إلى غاية وفاته سنة 1960. ونقل جثمانه سنة 1964 إلى مدرسة الفلاح بوهران ثم إلى المقبرة ليدفن بها.

وسرعان ما تزايدت المراقبة الاستعمارية للمدرسة حيث أمر رئيس البلدية (لامبار)"Lambert" بإغلاقها سنة 1956 بعد تفتيشها من قبل السلطات. وفيما بين 1958–1959، تحولت المدرسة إلى مقر لبعض قوات الجيش إلى غاية 1961. وقد عانى العديد من أعضائها الويلات بسبب المساءلات والتعذيب. وبعد انسحاب القوات الفرنسية عنها تمركزت بها قوات متنقلة تم تعيينها في الأحياء المسلمة بوهران. وبعد

1962 تحولت المدرسة إلى مقر للسجناء الذين تم إطلاق سراحهم بعد مفاوضات إيفيان[40].

وفي جويلية 1962 زار الأمير محمد بن مسعود رفقة سويح الهواري أول والٍ لولاية وهران بعد الاستقلال، وقد منح الأمير مبلغا معتبرا من المال للمدرسة، وأقيم غذاء رسمي على شرفه بالولاية. هذا إلى جانب زيارة مجموعة من علماء الأزهر الشريف لها، كما نشطوا محاضرات في جوامع مدينة وهران، والذين تمت دعوتهم من قبل السيد "دلال الغوتي".

بعد كل هذه النشاطات والأحداث الحافلة، تحولت المدرسة إلى قطاع وزارة التربية الوطنية، وأصبحت متوسطة منذ السنة الدراسية 1984 – 1985 [41].

كان الطيب المهاجي من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بصفته عضوا مستشارا. وواصل نشاطه التعليمي إلى جانب نشاطاته في إطار مدرسة الفلاح، إلى جانب زدور ميلود المهاجي أحد أقاربه.

وتبين وثائق الأرشيف خضوع الشيخ الطيب المهاجي كباقي أعضاء جمعية العلماء والناشطين بجمعية الفلاح للمراقبة، حيث كان يتم تتبع حركاتهم واتصالاتهم، والزيارات التي يتلقونها كما هو الحال بالنسبة للزيارة التي قام بها كل من فاطمة عبد الرحمن (تاجر)، دلال الغوتي ونطاحي محمد إلى الشيخ الطيب المهاجي والسي حمّار لبيوض يوم 24 سبتمبر 1943، وكان هؤلاء مندوبين لجمعية الفلاح، ورغم عدم وجود معلومات عن تفاصيل هذه الزيارة، إلا أنها كانت منبعا للشكوك الفرنسية[42].

ومن جهة أخرى، فقد كان الشيخ الطيب المهاجي رئيسا للجمعية العقائدية الإسلامية بوهران، علما أن رئاسة هذه الجمعية كانت لبشطارزي بن عودة المستشار العام السابق. وبعد استقالته، اجتمع أعضاء الجمعية يوم 7 جوان 1942 وانتخبوا رئيسا جديدا لجمعيتهم "السيد مهداد" الذي كان أستاذا بالثانوي، والمساعد الثاني لرئيس

بلدية وهران. بينما عين الشيخ الطيب المهاجي رئيسا للمجال الثقافي. وكانت الجمعية تعنى بتعليم اللغة العربية، بينما فرضت عليها السلطات الفرنسية تعليم اللغة الفرنسية جنبا إلى جنب مع اللغة العربية، حيث قامت السلطات بتوزيع أيام الدروس كالآتي :

- السبت، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء: يتم تعليم اللغة العربية صباحا، واللغة الفرنسية بعد الظهر.
- الجمعة: اللغة الفرنسية صباحا ومساءً.

وتم إتباع هذا التوزيع ابتداءً من أبريل 1940، وقد بلغ عدد تلاميذ هذه الجمعية حوالي 15 تلميذا سنة 1942، وكان معظمهم من سكان حي المدينة الجديدة (حي الزنوج سابقا).

لقد كانت هذه الجمعية رسمية معترفا بها من قبل السلطات الفرنسية التي كانت تخضعها لمراقبة مستمرة وخاصة فيما يتعلق بسير دروسها وبرامجها وطرق التعليم بها[43].

ونجد أن الشيخ الطيب المهاجي كان يحاول التوفيق بين نشاطه في هذه الجمعية، ونشاطه في إطار جمعية العلماء، على أنه كان مركزا على مواصلة إلقاء الدروس حتى أن ذلك كان قد منعه من التأليف. غير أنه كان يرى فيه أداة ووسيلة لبناء جيل المستقبل. وفي هذا الصدد نذكر بعضا من الكلمة التي ألقاها الشيخ الطيب المهاجي لتلاميذ مدرسة الخلدونية بتونس حيث قال : "إنكم رجال المستقبل، وإن أمتكم لتعلق على هذا المستقبل آمالا فسيحة الأرجاء وتبني على تلك الآمال صروحا من التمنيات التي تعتقد أنها ستغلبها بواسطة مجهوداتكم. كما أن وطنكم يفرض عليكم أن ترفعوا مستواه حتى يتبوأ مركزا ساميا يليق به". ولعل هذا ما يفسر إصرار الشيخ على تعليم أبنائه رغم توسط حاله[44].

ووجد الطيب المهاجي في نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مجالا لتحقيق أهدافه، خاصة وأن علاقته بأعضائها كانت جد وطيدة، فقد كانت عائلة

امهاجة محل احترام أعضائها. وهنا لابد من الإشارة إلى الزيارة التي قام بها الشيخ الطيب المهاجي إلى قسنطينة، أثناء عودته[45] من تونس[46]، وقد بقي بالمدينة يوما كاملا لقي فيه ترحيبا كبيرا من قبل الشيخ عبد الحميد بن باديس قائلا : "كان رحمه الله منصفا ليّن العريكة، وقافا عند الحق، لا يتعداه أبدا سواء ظهر على يده أو يد غيره...، وهكذا، كان رحمه الله سليم القلب طيب السريرة حسن الخلق". وعند زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لوهران سنتي 1931– 1932، استقبل من قبل الشيخ المهاجي الذي رافقه في جولته بالمدينة.

هذا وبتاريخ 16 أبريل 1952 أحيت جمعية الفلاح بوهران ذكرى وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس بمقر مدرسة الفلاح بوهران. وحضر الحفل حوالي 300 طفل من تلاميذ المدرسة، قاموا بمسيرة في أحياء وهران، حاملين لافتات كتب عليها باللغة العربية "إرشاد التربية أو تعليم الفلاح"، منشدين نشيد شعب الجزائر مسلم، إلى جانب تظاهرات ونشاطات أخرى تمت بهذه المناسبة[47].

ومن جهة أخرى، فقد واصل الشيخ تعليم القرآن العظيم وعلومه، وإصدار الفتاوى خاصة فيما يتعلق بحياة الناس والمواضيع الشائكة مثل قضية القرض بالفوائد، وحقوق الزوجة، وغيرها. كان الشيخ الطيب المهاجي يرى أن الدين ليس مجرد فرائض يمارسها المسلم، ولا مجرد معارف مسلم بها، بل هو علم يجب الاستعانة به في سبيل التطور الثقافي والاجتماعي وحتى الاقتصادي. كما كان يرى في الإسلام مجالا للانفتاح على العلم والتقدم[48].

وهنا لابد من الإشارة إلى المكانة التي كان ولازال هذا الشيخ يتمتع بها خاصة وأنه تمكن خلال الثورة التحريرية من إقامة الصلح بين مجموعتين من الفدائيين اشتد النزاع بينهما. هذا علما أن الشيخ المهاجي الطيب، وبعد ظهور الخلافات الداخلية انفصل عن نشاطه الرسمي داخل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفضل

الاكتفاء بالتعليم كرسالة كرّس جهده ووقته وعلمه لأدائها مدركا أهميتها في ظل الاستعمار وأهدافه الاستعمارية لطمس ملامح الشخصية الإسلامية، وشغل جل وقته بتكوين جيل واع متفقه، عالم بدينه. وبعد هذه المسيرة الحافلة، توفي – رحمه الله – يوم 7 أكتوبر 1969 بوهران عن عمر يناهز 88 سنة. وألقى الكلمة التأبينية الشيخ المهدي البوعبدلي، ودفن بمقبرة "مول الدومة" بحي الصنوبر بوهران[49].

إن العلماء ورثة الأنبياء وسيبقون مصابيح تضيء دربنا، ونأمل أن نكون قد أعطينا هذا العالم الجليل ولو جزءا قليلا من حقه والمجال مفتوح لمواصلة العمل والتأريخ لعلماء ودعاة وشخصيات أخرى أبلى كل منها في مجاله وتخصصه.

الهوامش

1- المنطقة التي استوطنوها يحدها غربا مدينة تلمسان وما حاذاها، وشرقا واد أفكان الحاجز بينهم وبين قبائل الحشم، ويفصل بينهم وبين وهران شمالا قبائل الزمالة والدوابر، ويحدهم جنوبا الجعافرة وبنو مرناين.

2- المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق في الماضي والحاضر. الشركة الوطنية للطبع والأوراق، وهران، ص 23.

3- المصدر نفسه، ص 116.

4- المصدر نفسه، ص 113.

5- المصدر نفسه ، 116

6- Djemel ABDELKADER. « CHEIKH TAYEB EL MEHADJI « UN SAGE DANS LA VILLE ; in ELMOUDJAHID .16/02/1991

7- المصدر نفسه، ص 38

8- EL KORSO Med, Politique et Religion en Algérie .L'ISLAH Ses Structures et ses hommes . le cas de l' Association des oulémas Musulmans Algeriens .1931-1945. Tome 1 p 68-69 en Oranie,etude

9- المهاجي الطيب، نفسه ص 44

10- EL KORSO Med, Politique et Religion en Algérie..., p 69

11- المهاجي الطيب، نفسه ص 49

12- نفسه ص 89

13- نفسه ص 69-79

14- نفسه ص 92-97

15- الهواري ملاح، الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري (1300-1389هـ/1881-1969م)، مراجعة الدكتور عبد المجيد بن نعيمة، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004، ص 13.

16- EL KORSO Med, Politique et Religion en Algérie..., p 69

17- الهواري ملاح، المرجع السابق، ص 9.

18- الطيب المهاجي، المصدر نفسه، ص ص 84 – 85.

19- MAACHOU ABDELKADER ABDELJLIL, Zeddour Kacem, Une lutte et ses racines, In. Le Quotidien d'Oran, 01/11/2000

20- الهواري ملاح، المرجع نفسه، ص 5.

21- السعيد الزاهري، محمد السعيد الزاهري، ولد ببسكرة، له تجربة صحفية، وكان من الشخصيات البارزة في وهران.

22- EL KORSO Med, Politique et Religion en Algérie..., p 205

23- Op.cit., p 290

24- مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني، بين 1900 و 1940، الجذور الثقافية ، الهوية الوطنية و النشاط السياسي ، رسالة لنيل شهادة دكتوراة دولة في التاريخ الحديث و المعاصر ج1، ج2 ، اشراف الدكتور الصم ، وهران ، 1999 ،ص 487.

25- سعيد الزموشي من مواليد قسنطينة، درس بالزيتونة، كان له نشاط كبير في إطار ج ع م ج.

26- M^me ZEMMOUCHI KHEIRA, BENDELLAL GHAOUTI, ZAANANE YAMINA, FATMI ABDERRAHIM, La Medersa Elfalah, Son Histoire, SA création, Ses activités, in. El Falah, Oran, 15 Avril 1985, In, pp : 6 - 7

27- مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني...، ص 488.

28- ** والد السيد نميش وزير المجاهدين سابقا.

29- M. ZEMMOUCHI KHEIRA, BENDELLAL GHAOUTI, ZAANANE YAMINA, FATMI ABDERRAHIM, Opcit, p : 8

30- Ibid , p : 5

31- مديرية الأرشيف لولاية وهران، (م.أ.و.و)، السلسلة I12، العلبة رقم 6987، نفس التقرير أعلاه.

32- مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني...، ص 490.

33- (م.أ.و.و)، السلسلة I12، العلبة رقم 6987، نفس التقرير أعلاه.

34- M^me Zemmouchi et Autres, Op.cit., pp 7-8

35- مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني...، ص 487.

36- M^me Zemmouchi et Autres, Op.cit., pp 8 - 10

37- Ibid., pp 11 - 13

38- مهديد إبراهيم، الجزائريون في القطاع الوهراني...، ص 269.

39- كانت الشبكة باسم Réseau Claude وهو الاسم الثوري لسويح الهواري

40- M^eme Zemmouchi & Autres, Opcit, pp 12 - 14

41- العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي، الفترة الأولى (1920-1936)، الجزء 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 190

42- (م.أ.و.و)، السلسلة I11، العلبة رقم 4477، دراسة رقم 381/5، بتاريخ 1943/09/28.

43- (م.أ.و.و)، السلسلة I11، العلبة رقم 4477، دراسة (م.إ.د)، عمالة وهران، بتاريخ 1942/10/28.

44- المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر...، ص 87.

45- المصدر نفسه، ص 88.

46- كانت رحلة الطيب المهاجي إلى تونس سنة 1929 وأمضى بها بضعة أيام. للإطلاع : الهواري ملاح، نفسه، ص 12.

47- (م.أ.و.و)، السلسلة I12، العلبة رقم 6987، التقرير أعلاه.

48- EL KORSO Med, l'Islah, ses structures et ses hommes..., p 70

49- الهواري ملاح، الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري...، ص 16.